الأخوة في الدين

عباد الله: هناك قاعدة ربانية أمرنا الله أن نأخذ بها ونطبقها في حياتنا, فإن أخذنا بهذه القاعدة الربانية وأسقطناها على واقع حياتنا فإنَّ الله عزَّ وجل يَكتب لنا العِزة والنصر والتمكين والسعادة في الدنيا قبلَ الآخرة. وهذه القاعدة خَلدها اللهُ في كتابه حيث قال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ). وهذه القاعدة أقرها النبيُ في سُنته حيث قال ﷺ: *كونوا عباد اللهِ إخوانا*. وجاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه, عن النبي ﷺ قال: *لا يؤمنُ أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحبه لنفسه*. رواه البخاري ومسلم, وفي روايةٍ لمسلم: *حتى يحب لجاره أو لأخيه ما يحب لنفسه*. وفي رواية لأحمد: *لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب لجاره أو لأخيه ما يحب لنفسه*. وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما, عن النبي ﷺ قال: *من أحبَّ أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتي إليه*. فهذه الأحاديث وما جاء بمعناها تدل على أنَّ المؤمن يسره ما يسر أخاه ويُحزنه ما يُحزنه ويُريد لأخيهِ ما يُريده لنفسهِ من الخير. فمن صفات المؤمنين: سلامةُ قلوبهم وألسنتهم لإخوانهم المؤمنين والثناء عليهم والدعاء لهم.

أيها الموحدون: ينبغي للمؤمن أنْ يُحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه. فإن رأى من أخيه المسلم نقصاً في دينِهِ اجتهد في إصلاحه, فلا يكون المؤمن مؤمناً حقاً حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه. فإذا كنت يا أخي المؤمن, لا ترضَ أنْ يغتابك أحد، فكيف تغتاب أخاك؟! والله سبحانه يقول: (وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ). فليس من الإخوة أيها المؤمن, إن كنت مؤمناً, أن تتبع عورة أخيك فتُعلِنُها على رؤوس الأشهاد وتنظر إلى حسناته بعين البغض والحسد والحقد فتسترها. ليس من الأخوة أن تعتدي على عرض أخيك فتأكل لحمه ميتاً في كل مجلس. لقد شاعت هذه البلوى في الناس وتهاونوا بها واحتقروها مع أنها من كبائر الذنوب. سُئل النبي الكريم ﷺ عن الغيبة,

فقال: *نكرك أخاك بما يكره*. قيل يا رسول الله: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: *إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته*.

أيها الموحدون, عباد الله: وإذا كانَ المؤمن لا يرضَ أنْ يسخر منه أحد أو يستهزئ به أحد فكيف يسخر من إخوانه ويستهزئ بهم؟! وقد قال الله: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ), وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ). وإذا كنت يا أخي المؤمن لا ترضَ أن يغشك أحدٌ في البيع والشراء, فكيف تغش إخوانك؟! وإذا كنت يا أخي المؤمن لا ترضَ أن يؤذيك جارك فكيف ترضى لنفسك أن تؤذيه. وإذا كنت يا أخي المؤمن لا ترضَ أن تظلم فكيف تظلم أخاك المؤمن.

فاتقوا الله أيها الإخوة في أنفسكم وفي بعضكم البعض, وحققوا معنى الأخوة في حياتكم وحافظوا على أُخوتكم، وكونوا عباد الله إخوانا. يقول ﷺ: *لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه*.

أسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم ممن يحققون هذه القاعدة في حياتهم وأن يجعلنا من الأخوة المتحابين في الله

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله

أيها الأحبة: يقول ﷺ: *المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه. ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته, ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة, ومن ستر مسلماً ستره اللهُ يوم القيامة*. هذه الأخوة التي أمرنا بها ﷺ. أخوةٌ تقتضي أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، تحب أن يكون صالحاً, أن يكون عزيزاً, وأن يكون غنياً, أن يكون مُتخلقاً بالأخلاق الفاضلة. تسأل عنه إذا غاب, تعوده إذا مرض, تعرفه في الشدة قبل الرخاء, تعينه في السراء والضراء. فالأخوة التي أمرنا الإسلام

بها ليست الأخوة التي تُقال باللسان فحسب, بل لابد أن تُترجم إلى واقعٍ عملي في حياتنا اليومية.

وكذلك أيها الأحبة من مُستلزمات الأخوة التي أمرنا النبي ﷺ بها, أن تكره لأخيك ما تكره لنفسك. تكره لأخيك أن يكون فاسداً ذليلاً, أو أن يكون ضعيفاً, أو أن يكون مُتخلقاً بالأخلاق الذميمة. لابد أن تكره ذلك كله لأخيك كما تكره لنفسك.

أيها الأحبة: إذا نظرنا إلى واقعنا فنجد أن معظمنا قد حقق هذه القاعدة الربانية. فأنت تفرح لفرح أخيك, وتحزن لحزنه, وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك. وهذا حال صاحب الطباع السليمة أو الفطرة السليمة. وأما الذين فسدت طباعهم, وخالفوا فطرتهم وأكل الحقد والحسد قلوبهم, فهم يعملون على هدم هذه المعاني الجميلة. فتجد بعض الشباب ليس له عمل وليس له هم إلا تتبع عورات الناس, والخوض في أعراضهم، فمثل هؤلاء كمثل الحشرات التي لا تقع إلا على القاذورات. ما هم إلا صعاليك لا قيمة لهم ولا مكانة ولا كرامة عند أهل الإيمان. ولو نظروا إلى عيوبهم ما عابوا على إخوانهم, وكان أولى بأولئك الصعاليك الذين يخدشون معاني الأخوة، ويخوضون في أعراض إخوانهم أن يكون التناصح بينهم بدلاً عن الغيبة وإساءة الظن أو التجسس أو التحاسد أو التباغض. فهذا الذي تتكلم فيه مسلم لا يجوز لك أن تؤذيه بأي أذى, سواء كان في ماله أو دمه أو عرضه. قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً). وكما صحَّ عن المصطفى ﷺ أنه قال: *إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم, كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه*. وقال ﷺ:*المؤمن ليس باللعان ولا الطعان ولا الفاحش البذيء*. وقال ﷺ: *المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً*.

على مثال هذه القواعد النبوية أقام ﷺ المجتمع المسلم في المدينة المنورة, فاستقامت أوضاعهم, وأضحى المجتمع الإسلامي خيرَ مجتمعٍ عرفته الدنيا بأسرها. فكان مجتمعاً مُتضامناً بعيداً عن القذرات الأخلاقية, فكان خير مجتمع, وكانوا خير أمةٍ كما وصفهم الله: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ).

فأوصيكم أيها الأخوة والأخوات وصية أخ لإخوانه, من قلب يعتصر ألماً على أمة الإسلام, أن تحافظوا على تلك القاعدة الربانية. والذي جعلني أتحدث بهذا الحديث ما نشاهده يومياً من مشاكل بين أبناء الجالية. فنجد الأخ يخاصم أخاه، والقريب يهجر قريبه، والشريك يخاصم شريكه، كل ذلك بسبب عدم الأخذ بمعاني الأخوة وواجباتها.

وحتى نكون عملين لتحقيق معاني الأخوة في حياتنا لابد أن نعاهد الله على عدة أمور:

١. الابتعاد عن الغيبة والنميمة والحسد والحقد والغل وإساءة الظن أو التجسس وتتبع عورات المسلمين. ومن كانت فيه خصلة من هذه الخصال فليتب إلى الله عز وجل.
٢. إذا جلست في مجلس ورأيت من يغتاب أخاه المسلم فأنهاه عن ذلك وذبّ عن عرض أخيك, فمن ذبّ عن عرض أخيه ذبَّ الله ووجهه عن النار يوم القيامة.
٣. ونعاهد الله على أن يحب كل منا لأخيه ما يحبه لنفسه, وأن يكره لأخيه ما يكره لنفسه. فأنت تحب من أخيك أن يستر عورتك ويغفر لك زلتك فأحب له ذلك، وأنت تحب من أخيك أن يعاملك بصدق ويبتعد عن خداعك فأحب له ذلك.

٤. وكما تعلمون أيها الأحبة أننا من البشر والبشر غير معصومين عن الخطأ, فمن منا يتصف بالكمال؟! لا أحد منا يتصف بالكمال ولكننا معرضون للخطأ:

فمـــن ذا الـــذي مـــا أســـاء ومـــن لـــه الحســـنة فقـــط

فإذا رأيت عيباً أو خطأ من أخيك, فعاهد الله على أن تدعو له بظهر الغيب أن يصلح حاله, وحاول أن تنصحه ولا تفضحه. أنصحه بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأختم بقوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً). (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)

اسأل الله عز وجل أن يسمع قلوبنا كما أسمع آذاننا
وأسأله سبحانه أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه